



ربما لاتشي مبادرة السيد معاذ الخطيب رئيس الائتلاف الوطني السوري المعارض بحنكة سياسية فالرجل لم يزعم قط أنه سياسي مخضرم ، لكنها بكل تأكيد تفصح عن وطنية خالصة تتضح بها نفسه، وشعور فائض بالإنسانية الراقية ربما لم يعهدنا عالم السياسة والسياسيين.

فالسياسة في عرف ذاك الطراز من الوطنيين هي علم إدراك المصالح العليا وصياغة الأدوات والوسائل للوصول إليها، وإدارة الصراعات بسبل شتى تتتسق فيها وتنساق السبل والغايات...

ولاشك أن الخطيب لايهدف فحسب من مبادرته تحرير آلافا من المعتقلين ومجرد تجديد وثائق سفر ، ولا أظن أن تتفزّم المسألة الوطنية عنده وذاك الدم المسفوح إلى هذا السقف من المطالب..

لكنها ربما ذاك الثقب في جدار الصمت والفرجة الدولية على أكبر وأفظع المجازر في التاريخ الحديث.
ومع ذلك فأنا من يعتقدون أن السيد الخطيب تسرع - إن لم نقل أخطأ - في تلك المبادرة...

فصحيح أن المفاوضات هي شكل آخر لإدارة الصراعات لكنها في الحالة السورية، وضمن عدة معطيات ومحددات يجعل منها نوعا من إنهاء الصراع يرفع الرأية البيضاء.

فالأسد الذي رفض الامتثال لمطالب شعبه.. ورفض -ومايزال- الخروج الآمن من السلطة رغم كل جرائمه، وأحرق البلد ودمّر المدن واستباح المال والعرض، لن يقبل بتلك النتيجة بمحضر مفاوضات مع طرف مايزال يريد أن يرى فيه مجرد أدلة إقليمية دولية للنيل من (صمود) نظامه و (ممانته)...

ثم إن إيران وروسيا اللتين وضعتا كل ثقلهما المادي والعسكري والdiplomatic لتدعيم الأسد ودرء الأخطار عن نظامه، وإبقاءه في السلطة رغمما عن إرادة شعبه لأنه يحقق لهما مصالح حيوية كبرى في المنطقة، لن يتنازل عنه بجولة مفاوضات..
خاصة أنها تأتي ضمن معطيات وسياسات لاتجعل من الطرف الآخر قادرًا على انتزاع شيء بها لم يستطع انتزاعه على

وبالتالي فإن أقصى ما يمكن أن يتحصل عليه السيد الخطيب من مبادرته تلك هو إطلاق المعتقلين وتجديد وثائق السفر والمشاركة بحكومة تحت ظل الأسد الثقيل..

وتكون سلطة العصابة قد استعادت بذلك الاعتراف بمشروعها - على الأقل باعتبارها راعية للمرحلة الانتقالية - التي طالب بها المعارضة، مع ما يتطلبه ذلك من وقف النار وإلقاء للسلاح بهدف إعادة بسط سلطة الدولة (المستعية لمشروعها) لا لشيء إلا لإعادة الأمن للناس والخدمات الدنيا لهم تمهيداً لخوض الانتخابات المزعومة والتي ستعرف أجهزة سلطة العصابة كيف تعيد إدارتها وصناعة نتائجها من جديد..

وستؤول الأمور مجدداً وبعد سنتين من الثورة والقتال والدمار والشهداء إلى نقطة الصفر!!!.

هل تحتاج إلى إعادة التأكيد على أن هذا النظام بحكم نشأته وطبيعة بنائه وتكوينه المافوي العصبي، عصي على التحول - ولو المدرج - نحو التعديدية السياسية الحقيقة والتداول السلمي للسلطة؟؟؟

ألم ندرك بعد نصف قرن من الاستبداد أنه مجرد سلطة عصابة طائفية لاترى في سوريا وأهلها وطناً وشعباً بل إقطاعية وأقنان لاحقوق لهم إلا بما يوجد ويمن عليهم به سيدهم؟!
فالتحول الديمقراطي لا يقبله من أدمى الألوهية والاستبداد ...

ومن يرتكز في حكمه على محض إرادة دول أخرى يعمل خادماً لمصالحها وضامناً لأمنها الإقليمي، وليس لإرادة شعبه وخدمته... .

ولم يجر في التاريخ تحولاً ديمقراطياً قاده طاغية مستبد وكل التحولات جرت بعد رحيله أو سقوطه. وبالتالي فإن الصراع هنا يأخذ معنى وجودي عند تلك النظم لا يحتمل إلا إفباء الآخر أو تركيعه ..
وهو ما عبرت عنه بلامنته الاستبدادية في عبارة (الأسد أو نحرق البلد)!.

صحيح أن المجتمع الدولي ب موقفه البليد تجاه المذبحة السورية المتمادية خيب أمل السوريين ودفع البعض منهم للتطرف، لكن الصحيح أيضاً أن المعارضة السورية أثبتت بجدارة أنها فاشلة بكل المعايير تتنازعها الخلافات والبحث عن الأنوار أكثر مما تعنيها القضية الوطنية وأثبتت الكثير من المعارضين أنهم مجرد هواة سياسة أكثر مما هم سياسيون ورجال دولة.. فضلاً عن أن العديد من الكتائب المسلحة المعارضة للنظام مجرد لصوص وقطاع طرق ومتطرفون أغبياء فشلوا في تقديم نموذج مغاير ومغر للناس، فكانوا على الأرض بديلًا أسوأً بأشواط من النظام رغم كل جرائمه وبالتالي لم يكن النموذج مغرياً للمجتمع الدولي المتعاجز أصلاً ليمر فيه بديلًا عن نظام العصابة.

لكن ذلك كله لا يجب أن يدفعنا للانهيار والهroleة وراء سراب حل - قد - يفضي لتجنب حرب أهلية مدمرة لكنه لن يعطي السوريين بالمقابل إلا نصف قرن آخر من الاستبداد وجرائم متعددة من الإذلال والقهر.

إن تخلي المجتمع الدولي عن الثورة السورية وحق السوريين بالحرية والكرامة.. وعدم رفع الغطاء - حتى الآن - عن سلطة العصابة الحاكمة في دمشق لا يعني القبول بنصف ثورة. لأنها تعني موتاً سريرياً محتماً للمجتمع السوري وتحنيط أبيه له.
بل لعل تقديم نموذج أفضل في إدارة المناطق المحررة وجود سلطة مدنية بديلة تعبر عن إرادة الناس وخياراتهم، توفر الحد الأدنى من الأمن والخدمات لهم فيها، وإعادة تنظيم بنية الجيش الحر براتبية عسكرية خالصة بعيدة عن الصراعات والتجاذبات السياسية الوضيعة، واستيعاب كتائب المسلمين في أطره براتبية وحرفية واعتبار كل من هو خارجه خارج عن القانون ومجرد عصابة مسلحة لا تختلف عن سلطة العصابة الأسدية الحاكمة..

والكف عن الخطاب الإعلامي المتطرف دينياً ومنذهايا والذى ينفر العالم ويدفعه للمزيد من الإحجام عن دعم مطالب السوريين وحقهم بالتغيير لعدم اطمئنانه للبديل، وتخلّي أطر المعارضة السياسية عن أناياتها وفردياتها وإعلاء شأن الوطن

على ماعداه من مكاسب سياسية رخيصة...

كل ذلك من شأنه أن يعيّد للثورة التألق والحياة ويشجع الآخر على القبول بها ودعمها.

إن هذه الثورة انطلقت من رحم الظلم لتحقيق أهدافاً كبرى ترتسّم من خلالها ملامح مستقبل وطن وأجيال...

فلا تجهضوها بالمهادنة وأنصاف الحلول للحفاظ على - ماتبقى من - سوريا، لأن ماتبقى لم يعد يستأهل العيش بذل مستدام

..

والثمن دفع مقدماً ومزيداً من الإصرار والتماسك والتمسك بالأهداف هو وحده الكفيل بتحقيقها.

هي إذا المسؤولية الوطنية والتاريخية الكبرى التي ألقيت على كاهل السوريين جميعاً وهم أهل للتصدي لها بمزيد من الإيمان والإصرار على تحملها وإنجاز أهدافها. فسوريا العذراء لم تحمل جنين ثورتها سفاها... لقد نفخ الشعب من روحه فيها، فلا تجهضوا حملها.. ولا تصلبوا مخلصها.

المصادر: